قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

بقلم أديب ديمتري

احسنت « الآداب » صنعا حينما قدمت لقرائها على صعيد الوطن العربي أهم البحوث المعدة لمؤتمر « الاصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة » الذي دعت اليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ، والذي عقد بالقاهرة في الفترة من ٤ الى ١١ اكتوبر الماضي ، هذا المؤتمر الذي مر دون ان يحس به احد من جمهور المثقفين العرب ، رغم الاهمية الكبيرة لموضوعه وللبحوث التي قدمت اليه . ويكفي للدلالة على اهمية المؤتمر وبحوثه ما يكتشف عن تيارات من المصلحة كل المصلحة ان تسلط عليها الاضواء ، وان يطلع عليها المثقف العربي ليتدبر امر وطنه في هذه الايام العاصفة ، وما يصطرع على اديمه من تيارات ليست مقطوعة الصلة بالمعركة المصيرية التي تخوضها .

والواقع انه مما يزيد من اهمية هذه المؤتمرات والندوات وما يقدم بها ، رغم انها تأتي في الاغلب معزولة ومحصورة الجمهور ، ان المنطلق فيها عادة قومي ووطني ، ومن المفيد ان نسبر غور الوطنية وابعادها وآفاقها الفكرية والايديولوجية وكل التيارات التي تتناهبها في هذه المرحلة من تاريخنا ، وبالاخص في مستوى الاجهزة الرسمية وفي عقول بعض القيادات الفكرية المؤثرة والمهيمنة .

ويعنينا هنا ان نناقش بشكل خاص الابحاث ذات الطابع الفكري والثقافي العام التي قدمها الاساتذة : الدكتور شكري عياد « مفهوم الاصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة » والدكتور زكي نجيب محمود « موقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر » والاستاذ محمد المزالي « الاصالة والتفتح »

والواقع ان المنطلق ليس واحدا بين هذه الابحاث الثلاثة ، وان تشابه كل التشابه لدى الدكتور زكي نجيب محمود والاستاذ محمد المزالي مع اختلاف في طريقة التعبير والتدليل والافصاح عن المرامي الكامنة وراء الصيغ الفكرية والايديووجية .

ويركز الدكتور شكري عياد في بحثه على محاولة تحديد المعنى الاصطلاحي للاصالة والتجديد ، وهو يشير الى قلة ورود مصطلح الاصالة في الحصاد النقدي للعشرينيات والثلاثينيات . اما المتقابلات الاربعة التي شغل بها ذلك العهد فهي : التقليد والابتكار ، القديم والجديد . ولكنه يرى ان الحديث عن الابتكار مهد لمعنى من معاني « الاصالة » . والابتكار في كتابات العقاد النقدية مرحلة تأتي في مدارج النهضة بعد التقليد ، وأعلى درجات الابتكار هو ذلك الذي يأتي من التفرد واستقلال الشخصية . ويعبر هيكل عن هذا المعنى نفسه « ببروز الذاتية » . وهو يرجع ان كلمة « الاصالة » بدأت في الشيوع منذ اواسط الخمسينيات ، وكان من معانيها الذاتية والابتكار والتخلص من أوهام التقليد . وليس هذا هو المعنى الوحيد للاصالة فقد مازجه معنى اخر هو معنى « العراقة » ولا تناقض بين المعنى الاول ، والمعنى الثاني : الابتكار والعراقة ، بل هو تناقض ظاهري ، فلكل منهما سياق . السياق الاول هو الحديث عن الموهبة الفردية ، والسياق الثاني هو الحديث عن الخصائص القومية .

ويرى الدكتور شكري ان القومية والفردية صفتان تجتمعان في « الادب المبتكر » على نسب متفاوتة . والادب المبتكر يوصف « بالاصالة » على اعتبارين : فيكون معبرا عن الخصائص القومية المميزة للشعب الذي انتج فيه ، واللغة التي كتب بها ، كما يكون معبرا عن ذاتية صاحبه التي تجعل ما تفقه من تراث لغته ، وما أفاده من ثمرات الثقافة الاجنبية ، عناصر تذوب في كيان جديد مختلف عن سابقه . وعلى الرغم من اختلاف السياق فالجامع بين المعنيين هو الذاتية او الشخصية : ذاتية الامة اذا نظرنا الى الادب القومي في مجموعه ، وذاتية الكاتب الفرد اذا نظرنا الى انتاجه مقارنا بانتاج نظرائه ومعاصريه في قومه ولغته .

وفي رأيه ان اجتماع الذاتيتين او افتراقهما هو مشكلة الثقافة العربية في عصرنا . وبما ان المعنيين متضمنان في كلمة « الاصالة » فاننا نستطيع القول بأن « الاصالة » تلخص مشكلة الثقافة العربية المعاصرة . فالانسان العربي المعاصر يتجه الى تأكيد فرديته ، وهذا الاتجاه يظهر في الادب ظهورا واضحا ، وربما كان فكرة من الافكار المحورية في ادبنا القصصي على سبيل المثال ، ولكن الانسان العربي المعاصر يشعر في الوقت نفسه بانه انسان ضائع اذا لم يستمسك بتراثه العريق في مواجهة الحضارة الغربية التي تقتحم عليه حياته كلها ، ومعنى ذلك ابن يمثل « فضائل شعبه المتوارثة » .

هذه المعاني نفسها تقريبا وجدت تأصيلها في المقابلة بين التجديد والتقليد عند اقطاب الادب العربي الحديث خاصة من جيل العشرينيات والثلاثينيات ، فقد كان معظم هؤلاء الاقطاب يرون ان دراسة الادب العربي القديم وتذوقه والافادة منه لا تتنافض مع الاستفادة من اللغات الحديثة الاوروبية الحديثة ، بل كل منهما ضروري للادب فلا يمنع ان يستوعب الاديب نماذج غربية بشرط ان يأتي انتاجه بعد ذلك حاملا طابع ثقافته القومية .

وينتهي الى طرح المشكلة في ابعادها كما يراها اليوم ، فنموذج الاديب العربي في العصر الحديث هو نموذج الفرد الثائر على جمود التقاليد ، الذي يحاول ان يعيش عصره ، وان يخلق رؤيته الخاصة . نقيضان اذن يعيش بينهما الاديب العربي المعاصر ، فكيف يوفق بينهما لتكون الاصالة طابعا متسقا تتحد فيه قيم الجماعة بقيم الفرد ، وخصائص القديم بخصائص الجديد ؟

هذا هو اشكال الثقافة المعاصرة في رأيه ، والذين نجحوا في حل هذا الاشكال من ادباء الجيل الماضي انما فعلوا ذلك عن طريقين : نقد القديم ، والاختيار من الجديد .

وفي تقديرنا ان طرح قضية الثقافة العربية المعاصرة داخل هذا الاطار قاصر الى ابعد الحدود ، وهذه نقطة الاختلاف بيننا وبين الدكتور شكري ، لا اننا ننكر ان بعض ما يواجهنا هو المفاضلة بين قيم الجماعة وقيم الفرد ، او بين القديم والجديد . فلا شك ان في مجتمعنا العربي بمختلف اقطاره ، قطاعات كبيرة لا تزال تأخذ بها الحيرة بين القديم والجديد ، او بين الجماعة والفرد ، ولا يزال هناك من يتخبط ، خاصة بين اكثر الفئات تخلفا هنا وهناك . ولا زلنا نشهد

حتى يومنا ، وتحت الظروف الصعبة التي يمر بها الوطن العربي ،من يتوجه بكليته صوب الماضي تحت تعلة الاسلام او العروبة ، كما ان هناك من يقر بصبواته الى مستعمرات الهيبيز ، ولكن هذا لا يعدو جانبا من الصورة ،وجانبها الاصغر ، وهو مجرد بعد من ابعاد المشكلة التي تواجهنا ، ولو كان هذا هو البعد الوحيد ، فالقضية اذن محلولة ، وقد قدم جيل الاقطاب الكبار من ادباء العشرينيات والثلاثينيات الحل الموفق والكامل ، فقد حقق هذا الجيل ، كما يقول الدكتور شكري ، الكثير من دراسة التراث واعادة نفسيره ، وفي البحث عن قيمه الاصيلة كما استطاع ان ينظر الى ادب الغرب نظرة فيها كثير من الاستقلال وان يتخير منه ما يناسبه . وكان في نقده لتراثنا العربي وانتفاعه بالثقافة الغربية يسير على نهج قويم من النقد والاختيار .. تغلب على اشكال الذاتية والقومية كما حل اشكال التراث القومي والمؤثرات الاجنبية الى الدرجة التي بدا معها عن حق ان لا تناقض بين هذه الاطراف .

ويقدم الدكتور شكري في ختام بحثه التفسير الصحيح لهذا الموقف الثوري والتقدمي للاقطاب الكبار في زمانهم ، فقد كان منبع دعوة التجديد والاصالة في نفس الوقت هو محاولات الاستعمار بعد غزوه لبلادنا في اخريات القرن الماضي طمس شخصيتنا القومية ،ومن هنا كانت ضرورة المحافظة والتجديد في نفس الوقت ، ضرورةالاصالة وهي منبع تماسك الشخصية وضرورة التجديد والاخذ بمقتضيات العصر لمجابهته باسلحته .

ولكن الحوار بين الاصالة والتجديد بهذا المعنى ، او بين التقليد والتجديد بلغة الماضي ، او بين القومية والفردية لا يعدو بعدا واحدا للمشكلة كما تطرح نفسها اليوم ، يحبس المشكلة في اطار الفهم البورجوازي ، كما طرحها اساتذتنا الكبار طه حسين والعقاد وهيكل والحكيم وغيرهم . فلم تعد الاصالة اليوم تعني مجرد هضم التراث او التمسك به ، ولا التجديد مجرد قبول انتاج الغرب او بعض قيمه بل مضى السؤال اليوم الى أبعد : التراث ؟ اي تراث ؟ وتراث من ؟ والتجديد ؟ بمن ؟ ولمن ؟ والى اين ؟ ونزيد هذه الاسئلة وضوحا فنقول: لقد غدت الاشتراكية هي نظام العصر ، والافق الذي تتطلع اليه كل الشعوب ، والماركسية في عصرنا هي السلاح الاعظم الذي لا يستغني عنه اي مقاتل في اي ميدان .. ومن هنا غدا منظورها الاجتماعي والطبقي اساسا لاي نظرة في الاقتصاد والسياسة او الادب او الفن . ولم تعد الوطنية والقومية تعني مجرد الاستقلال او مواجهة المستعمر بل التحول الاجتماعي في الاساس ولم يعد التجديد يعني الاخذ بعلوم الغرب، بل الثورة بكل ابعادها . اما الاقطاب الكبار من اساتذة الجيل الماضي، فقد كان دورهم توريا وتقدميا بلا جدال ، كما عبروا اصدق تعبير عن المرحلة الثورية منذ بداية القرن ، مرحلة الثورة البورجوازية الليبرالية . طرحوا قضاياها ، كما قدموا الاجابات الصحيحة . فقد كانت المعركة مع المستعمر تقتضي دفاعا عن القومية وعن الديموقراطية في نفس الوقت ، ومن هنا اجتمع في فكرهم ادبهم وفنهم معا عن الوطنية الصادقة والفردية والذاتية الحرة ، كان للوطنية معناها الديموقراطي الليبرالي الدستوري .. وانعكس هذا بكامله في فكرهم وانتاجهم ونضالهم .. وكان النضال ضد المستعمر يتطلب اعلى درجات التمسك بالشخصية القومية ، وفي نفس الوقت ضرورة اللحاق بالمستعمر ، وامتلاك اسلحته العصرية ، ومن هنا كان التوفيق بين القديم والجديد ميسرا .

ولكن الوقوف عند هذه المعاني ، وحبس القصة في هذا الاطار يعني التخلف عن المرحلة التي تمر بها شعوبنا اليوم ، وهيمرحلة اكثر تقدما ، وهي مرحلة الثورة الوطنية التحررية بآفاقها الاشتراكية . وهذه بالضرورة تطرح معاني القومية والوطنية ، ومعاني الاصالة والتجديد تحت اضواء جديدة وتثير تساؤلات وقضايا جديدة ، كما تتطلب اجابات على مشاكل اكثر تعقيدا من مجرد التوفيق بين القومية والفردية بين الجديد والقديم . والبعد الاساسي الذي تطرحه في كل هذه القضايا ، وفي النظر اليها ، هو البعد الاجتماعي والطبقي ، من زاوية الصراع الاجتماعي الطبقي . ومن هنا عندما تطرح قضية الثقافة ، او قضية الاصالة والتجديد تبرز على الفور الاسئلة الجديدة :

ثقافة من ؟ والثقافة لمن ؟وعن اي الطبقات تعبر ؟ والاصيل ما هو ؟ وعمن كان يعبر ؟ وعن اي المصالح ؟ والجديد ؟ الى أين اتجاهه وهو جديد لمن ؟ ولمصلحة من ؟ والقومية ؟ اي قومية نعني، قومية الاقطاعيين الرجعيين ام كبار الرأسماليين المستغلين ؟ام القوميةالثورية قومية الطبقات الثورية ، والفردية ؟ هل هي الفردية المنزوية المنهارة ام الفرد الثائر ابن عصره ، الذي يحمل سلاحه ؟

كل هذه الاسئلة والتساؤلات سقناها لنؤكد ضرورة أن ندفع بقضية الاصالة والتجديد والثقافة عموما خارج دائرة الفكر البورجوازي كما عرفناه من العشرينيات والثلاثينيات والذي كان ثوريا في زمانه ولكنه متخلف عن زماننا ، وضرورة اغناء ثقافتنا بالجديد الذي يطرحه العصر .. عصر الاشتراكية.

ومع ذلك فبحث الدكتور شكري يقف على ارضية الرؤية المستنيرة بخلاف الخط الذي يسود البحثين الاخرين .. وهو في الاساس خط العداء للتقدم والاشتراكية ولنظريتها الماركسية بوجه خاص .

اما الدكتور زكي نجيب محمود ، فمحور بحثه مقولة غريبة ، يمضي فيالبحث كله للتدليل عليها وهي : انالعقل دخيل على الثقافة العربية، وانه وافد غريب يتناقض مع طبيعتها ومقوماتها الاساسية .. ومن ثم العلم بادواته واسلحته وفلسفته .

كيف كان موقف الثقافة العربية من « الفلسفة » او « منطقالعقل» يجيب الدكتور زكي نجيب ان فريقا انتفع به لاغراضه وفريقا اخر وقف موقف الرفض الصريح . ولكن الفريقين اللذين انتفعا بالفلسفة ،وهما فريق المعتزلة من المتكلمين وفريق الفلاسفة ، فقد اتفقا على انقبولهم للثقافة اليونانية الفعلية والمنقولة اليهما ، لا يؤدي الى تنازلهما عن اي شيء من مقومات الثقافة العربية الاصيلة .

اما الذي بدأ بجماعة من خاصة المثقفين ثم سرى في جمهور الناس جيلا بعد جيل ، فهو وقفة اخرى رفض بها اصحابها فلسفة اليونان المنقولة . هذه العلوم الوافدة في رأيهم على احسن القروض « حكمة مشوبة بكفر » او هي « حق مشوب بباطل ».

وفي العصر الحديث اتخذنا نفس الموقف الفكري الذي اتخذه اسلافنا عندما فوجئوا بثقافة جاءتهم من اليونان : ففريق اراد ان يجعل من الثقافة الجديدة ، أداة ينتفع بها في حل مشكلاته ،وفريق اخر رفضها رفضا ، وكان الرافضون هم الفئة التي استجابت لها عامة الناس طوال القرون التالية .

الموقف من الثقافة الوافدة انقسم الى ثلاثة اقسام :

فريق وفق بين الجديد والقديم او الوافد والاصل ومنهم محمد عبده والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وهؤلاء حاولوا ان يصوغوا العصر في قوالب الثقافة العربية الاصيلة ومع هؤلاء القادة يذهب معظم المثقفين .

وجماعة اخرى ملأت جعبتها من كتب التراث وغضوا انظارهم غضا عن العصر بكل ما يضطرب به من قضايا ومشكلات فكرية ومع هذه الجماعة تذهب عامة الناس من غير المثقفين ، وهو الذي ظفر بتأييد الجماهير .

وفريق ثالث رفض ثقافتنا تماما وتحول الى ثقافة العصر وهمقلة.

ولا يخفى ان الدكتور زكي نجيب في هذا التصنيف يعمل بمشرطه ليصنف الناس في فئتين رئيسيتين او طبقات فكرية : فئة المثقفين ، وهم الصفوة المختارة التي عرفت طريق الصواب وفئة الدهماء

ـ التتمة على الصفحة ٨١ ـ

القصائد

بقلم احمد عبد المعطي حجازي

في قصائد العدد الماضي عدة ظواهر اساسية تستحق كلمة عامة قبل التعرض لكل قصيدة على حدة . ونستطيع ان نجمل هذه الظواهر في ظاهرتين :

الاولى تتصل بطبيعة استجابة الشاعر للواقع ، او بما يسمونه الموقف ، فهي ظاهرة فكرية او مزاجية بحسب وعي الشاعر بطبيعة استجابته او عدم وعيه .

اما الظاهرة الاخرى فهي ظاهرة فنية تتصل بلغة الشعر والاوزان وثقافة الشاعر واللهجات التي يخاطبنا بها الشعراء .

وكلتاهما متصلة بالاخرى .

وهناك جانبان لهذه الظواهر او السمات المشتركة :

الاول ايجابي ، فالظاهرة دليل على وجود تيار شعري يعبر عن هموم روحية ذات طابع جماعي ، ويتكامل فيها عمل الشاعر وعمل الناقد والقارىء . ويتكامل كل هذا مع حركة المجتمع وعمل المثقفين والطلائع عامة من ابناء الامة على اختلاف اهتماماتهم ومواقفهم . فهي بهذا لا تفقد شرطا من شروط الاصالة ، اذ انها بشيوعها تتضمن عناصر حية من ثقافة الماضي والحاضر ، بل تتضمن كذلك مقدمات لما ستكون عليه ثقافة المستقبل . ان السمات المشتركة في هذا الشعر ، مهما تكن حداثته دليل على انتسابه الى ثقافة الامة .

لكن هذه السمات المشتركة قد لا تكون تعبيرا عن هذا الذي ذكرت من الهموم الروحية والتقاليد الثقافية الممتدة ، بل ربما كانت بدعا تفري بالتقليد وتدل على انحلال شيء اكثر مما تدل على ولادة شيء او استمراره وتطوره ، مما يوقف امتدادها ويجعلها سمات وقتية عارضة .

وهذا هو الجانب السلبي في هذه الظواهر .

واذا بحثنا عن هاتين الظاهرتين في قصائد العدد الماضي فسوف نجد بداية استجابة جديدة للواقع غير الاستجابة التي عرفناها في شعر المرحلة الماضية وخاصة في السنوات التي تلت هزيمة يونيو (حزيران) وما زلنا نعرفها في كثير من القصائد التي تنشر حتى الآن .

لقد تميز شعر السنوات التي تلت الهزيمة ـ باستثناء شعر المقاومة الفلسطينية ـ بكثير من القناعة واليأس والانصراف عن العالم ورفضه وهجائه ، حتى وصل بعض الشعراء الى حد التبرؤ من الامة .

ولا شك ان العديد من القصائد التي كتبت في هذا الموقف كانت تعبيرا صادقا عن الهزة العنيفة التي اصابت الوجدان العربي بسبب الهزيمة وأفقدته توازنه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان هذا الموقف رد فعل للتفاؤل السطحي الذي ساد حياتنا في المرحلة التي سبقت الهزيمة مما أدى الى العكس تماما بعد ذلك ، فقد غلب الرفض السطحي على كثير من شعر السنوات التي تلتها .

ولان الشعراء لم يكونوا وحدهم اصحاب هذا الموقف السطحي الساذج ، بل كانت الامة بأسرها ساذجة في قبولها ورفضها وفي تفاؤلها وتشاؤمها ، فقد لقي هذا الشعر في مرحلتيه رواجا كبيرا في بداية امره واجتذب مواهب عديدة . وكما كان الشعراء في مرحلة القبول السطحي يحسون بالسعادة وهم ينكرون انفسهم ويظنون ان الواقع والسخرية من الامة والتطهر منها ومن آثارها بخمش الوجه وادماء الجلد . لقد تحول كل الشعراء في السنوات الماضية الى قضاة للامة وللواقع . يحكمون بالادانة من الخارج ولا يتريثون . وبعث باب الهجاء في الشعر العربي من جديد .

لكن يبدو ان حركة الشعر الآن تحاول ان تصبح حركة رأسية بعد ان ظلت طويلا حركة أفقية ، فهي الآن تتجه الى العمق بعد ان ظلت تتذبذب على السطح بين قبول ورفض ساذجين . ودليل هذه البداية الجديدة او هذا الموقف الجديد قصائد العدد الماضي التي أرى فيها روحا مختلفة عما كان ينشر في « الآداب » نفسها في العام الماضي او العام الذي سبقه مثلا .

في قصائد هذا العدد نحس ان الشاعر يرفض العالم ويقبله معا ويعاني في القبول والرفض . يرفض فيه اشياء ويقبل فيه اشياء ، يرفضه وهو فيه ، يهدم ويبشر ، وكان قبل ذلك يتبرأ ويولي منه فرارا ويمتلىء منه رعبا ، وقبل هذين الموقفين كان يتغنى بعظمته ويفخر بالانتماء اليه ، ويتحدث عن مستقبله المشرق بالثقة التي يتحدث بها عن شيء في حافظته .

والى هذا الموقف الجديد المركب تنتسب قصائد سميح القاسم ، وسعدي يوسف ، وبسرى خميس ، وفوزي كريم ، ولا تخلو منه قصيدتا عبد الامير معلة وزكي الجابر .

ان هؤلاء جميعا يبشرون في قصائدهم بعالم جديد ، لكنهم يرون هذا العالم الجديد في قلب هذا العالم الميت ، يرونه تحت الركام يخرج من الرماد ، يخرج من رمادهم وينجم بعد ساعة او قرون كما تنجم النوارة على جدار مقبرة .

وهم لا يعبرون في ذلك عن قناعات سياسية بقدر ما يعبرون عن ايمان بالحياة واقتناع بقوانين الوجود حلوها ومرها لا يخلو من الرضى الصوفي وان تضمن عنصر التمرد . وربما كانت هذه هي بداية الدور الحقيقي المقدر للشعر ان يلعبه في حياتنا في المرحلة القادمة .

لقد كان الشعراء في الخمسينات والستينات تابعين للواقع الخارجي يؤلهونه او يجحدونه بحسب ما يتحقق فيه من انتصارات او يمنى به من هزائم .

كانوا ردود فعل لا فاعلين ، مهمتهم التعليق على ما يحدث بعد حدوثه وليس الحض على ما يجب ان يحدث . فلما اضطرتنا الهزيمة الى مراجعة مواقفنا من اساسها وانقشعت كثيرا من الاوهام الفكرية والسياسية ، عاد الشعراء الآن والمثقفون جميعا يرون ان اعظم انتصار عملي لا يلغي دور الثقافة ، كما ان اي هزيمة لا تبرر انكسار الواقع واعتزاله .

ومما يلفت النظر ان هذا الموقف الجديد الذي نراه يتردد في بعض القصائد الآن وفي بعض الكتابات المسرحية والفكرية يولد بينما تبدو الثورة العربية وقد لفظت آخر انفاسها في الاردن .

انه موقف جديد علينا حقا ، فالمثقف العربي يوشك ان يتقدم الواقع لا تثنيه الهزيمة ولا يخزيه الانتصار .

وليس المفجع في العلاقة التقليدية بين المثقف العربي بواقعه انها علاقة بين الحلم والهزيمة ، بل المفجع هو الانفصال القائم بين الطرفين والمفروض عليهما كليهما ، مما يؤدي الى قيام علاقة وهمية تجعل المثقف يرى في الواقع ما ليس فيه ثم يفاجأ بما لم يكن ينتظره منه ، وهي عين العلاقة الرومانسية التي تنتهي بالخيبة لا محالة .

فهل آن للشعر ان يعرف الواقع مباشرة دون وساطة عقيدة جامدة او نظام مستبد يستر اكثر مما يكشف ؟

أظنه آن وان كان من واجبنا ان نتحفظ في الحديث عن هذا الدور الجديد الذي ننتظره من الشعر العربي والذي لن يستطيع تأديته حقا الا اذا كانت هذه العلاقة الجديدة بين الشاعر والواقع علاقة مدركة يعيشها الشعراء وينمونها بمراجعة فهمهم للواقع والشعر معا ، لا مجرد استجابة عارضة وانتقال مزاجي مفاجيء .

ان الدليل الاكبر على قيام هذه العلاقة الجديدة واستقرارها هو ازدهار الاساليب الفنية وتنوعها تعبيرا عن تجربة كل شاعر واختباره ولهذا فنحن نرى في هذا الميل الجماعي التغير الى هذا الاسلوب

او سواه دليلا على فجاجة علاقة الشاعر بالحياة . ان الاساليب الشعرية ما زالت تظهر فجاة وتختفي بسرعة كانها ازياء النساء ، ونحن لا نعترض على تنوع التجارب واستمرارها بل نرحب به ، وانما نعترض على هؤلاء الشعراء الذين يتلقفون كل تجربة جديدة كما تتلقف أسراب السمك الصغير الفتات الملقى فيقلدونها كما لو انها صارت قيمة جمالية مستقرة .

ولو ان هذه التجارب الجديدة كانت تتناول الجماليات الاساسية في فن الشعر عامة كابتداع طرق جديدة في النظم مثلا لما كان لنا اعتراض عليها ، لكن ما نعترض عليه هو ان نجد التشابه بين الشعراء فيما يجب ان يختلفوا فيه كالقاموس الشعري ، وطرق بناء الجملة والصورة ، بل يصل التشابه الى تبني بحور وقوافٍ بالذات وهي ظاهرة لا نفسرها الا بالتقليد .

ولا تخلو قصائد العدد الماضي من هذا التشابه في اللغة والصورة والاوزان حتى ان فيها خمس قصائد – من سبع – تتبع كلها او في مقاطع منها بحرا واحدا هو بحر المتدارك ، ومن هذه القصائد الخمس اربع تتبع صورة بالذات من هذا البحر الذي ياتي في ثلاث صور هي فاعلن فعلن (بكسر العين) وفعلن (بتسكينها) .

وفي كثير من قصائد السنوات الماضية كان الشعراء يستخدمون الصورة الاخيرة من هذا البحر بكثرة ، لكننا نرى الآن انهم يميلون الى الصورة الاولى .

ومجمل القول ان قصائد العدد الماضي بشرت بموقف جديد ، ونذير ينبهنا الى خطر التقليد .

وننتقل الآن الى القصائد :

قطرات دم على خريطة الوطن العربي – سميح القاسم

لعل شعراء المقاومة الفلسطينية بما اوتوا من مواهب اصيلة ومعاناة حقيقية للماساة العربية في ابشع صورها ، ووعي صحيح بحركة التاريخ ، كانوا سببا من الاسباب التي ردت الشعر العربي المعاصر الى شيء من رباطة الجاش التي نلاحظها في الكتابات الشعرية الاخيرة . ولعل قصيدة سميح القاسم من اول العنوان حتى النهاية هي التي الهمتني هذه الملاحظة . فسميح القاسم لم يكتب بكائية وانما كتب نشيدا داميا . انه لا يقدم دموعا بل دما . سيفا لا سلاما ، وهو المكتوي بنار المأساة لا يشتم الوطن وانما يقدم له عنقه من جديد ويبشر بخلاصه . وهذا الموقف الثوري الذي يقفه سميح ليس موقفا بسيطا ، وانما هو موقف معقد يجمله الشاعر في المقطع الاول المسمى « بعث » :

تشتجر الاجنحه
يوما ،
وتأتي من أقاصي الزمن
عصفورة فرت من المذبحه
يوما ،
ساعة او قرون
تخبر عني جثتي ،
أن يكون
من ريشها الدامي ،
جناح الوطن !

هذه هي الفكرة الاساسية في القصيدة المكونة من ثلاثة عشر مقطعا يقدمها سميح القاسم في هذا المقطع الجميل ، ثم يقدم منها تنويعات مختلفة في بقية المقاطع ، فالعصفورة والمذبحة في هذا المقطع هي الطفلة ، والحرائق في المقطع الثاني ، وهي الدمعة والنار في الثالث ، وهي الحبر والقتيل في الرابع ، وهي الفارس والمشنقة في المقطع قبل الاخير المسمى « ادراك » :

لا تعدموني برفق
ولا تطيلوا الوقوف
على منصة شنقي
فلست سلطان عشق
يصيح يا ارض رقي
للعاشق الملهوف
أنا التماعة برق
على شفار السيوف
تصيح شقي وشقي
في العالم المخسوف

ان الفكرة في هذا المقطع تصل الى كمال نضجها روحا وشعرا . انه هنا يقدم لنا نبيا فارسا يشهد هزيمة دعوته بعينه ، بل يشهد موته ويرى مصيره الفاجع وهو مع ذلك موقن يقينا كاملا ان صيحته سوف تشق هذا العالم المنهار ليولد عالم الانسان من جديد :

ان توالي القوافي هنا وانتظام الاوزان يعبر عما في هذا الموقف الجليل من صراحة وحسم ويقين . وقد تطورت كثيرا ادوات سميح القاسم الفنية وأصبح اكثر تحكما فيها ، وهو في هذه القصيدة يجمع بين خمسة بحور يتنقل بينها بمهارة واتقان ويزاوج فيها بين الاوزان التقليدية والاوزان الجديدة باصالة .

وسميح القاسم يتمتع بمقدرة واضحة على ان ينسج قصيدة حول فكرة بينما يبدأ شعراء آخرون من صورة او انفعال ، ولنقل ان عالم سميح القاسم يبدأ من الداخل بعكس ما يوحي به بعض شعره الجهير الصوت . وكان سميح في بعض احاديثه قد اعترف بما يشبه الندم بانه مضطر احيانا الى اصطناع لهجة خطابية تيسر له اتصالا مباشرا بالناس وتساعده في نضاله السياسي ، وأحب من جانب ان اطمئنه انه استطاع في شعره الاخير ان يوفق بين وضوح الفكرة ونضج التعبير ، ومن ناحية اخرى احب ان انبهه الى بعض الاستطرادات غير الضرورية التي يتركها في القصيدة بعد اتمام كتابتها ، ومن ذلك مقطعان في هذه القصيدة أحدهما بعنوان « وظيفة للموت » والآخر بعنوان « الامانة » . انهما من الحديث المكرر في الشعر لا يضيفان شيئا للقصيدة ، بل يوقفان مدها ويقطعان توترها ، وفيها من فن البياتي ونزار اكثر مما فيهما من فن سميح القاسم ، ويبدو ان سميح كانت عينه على عنوان القصيدة فاراد ان يخص كل قطر من اقطار الوطن بمقطع . لكن هذا لا يحجب جمال القصيدة ولا يقلل من اعجابي بها .

حوار أول – سعدي يوسف

كم يزعجني ان اكتب عن سعدي يوسف في هذه العجالة . فكلما قرأت لهذا الشاعر المبدع وكلما تذكرت صوته الجياش الوديع العميق أحسست ان له على النقاد دينا ثقيلا . لكن يبدو ان الشعر الحقيقي ينفر النقاد كما ينفر الطمأنينة .

سعدي يوسف صوت فريد جامع . فيه خلاصة فن من سبقوه . وهو مع ذلك طليعة لمن أتوا بعده . لغة صافية مختارة ، وشجن مسمى اذا لفحك شممت ريح سعدي ، وهو مع ذلك ليس من اصحاب التجارب الباطنية ، بل ان على كتفيه من غبار المعركة واحزانها اكثر مما على فرسانها المعدودين .

لعله يحب الشعر اكثر من نفسه ويحب الناس اكثر من الشعر ، فهو يمنح نفسه لفنه ويقدم نفسه للناس بالاشارة . وكم أحب هذا التواضع الآسر ، كأنما في سعدي روح الوطن الخلاق التي لا يكترث بها احد .

طحنته الغربة والاضطهاد والشعر ، وهو مع ذلك لا يكف ، ليس عن الكتابة فحسب ، بل ايضا لا يكف عن التجربة ، وهو صاحب

– التتمة على الصفحة ٨٢ –

قرأت العدد الماضي من الآداب

الابحـاث

تتمة المنشور على الصفحة ـ ٤ ـ

والعامة وهي الجماهير الواسعة التي ساندت تراث التخلف والجمود والرجعية . وهو تصنيف غريب يستند الى النظرة التقليدية لغلاة الرجعيين في احتقار حركة الجماهير ومنطلقاتها ، ولا يقوى على الوقوف امام حقائق التاريخ . فعلى الرغم من كل صنوف التخلف والجمود التي قد تجد لها مرتعا في بعض الفئات بسبب الامية والجهل ، فمن المعروف جيدا ان حركة جماهيرنا في اتساعها ، جماهير العمال والفلاحين وقفت بحزم الى جانب حركة المثقفين الثوريين ، في مقدمة القوى الثورية التي ساندت منذ القرن الماضي حركة الثورة والتقدم في السياسة والفكر ، وحركة التحرر وكسر طوق الجمود . وليس ادل على ذلك من ان حركات غلاة الرجعيين من امثال الاخوان المسلمين ، لم تكن تجد لها تأييدا حقيقيا واسعا بين الجماهير المتدينة والتقية حتى في الريف ، وكان يغلب عليها طابع الجماعات المغلقة والمتآمرة التي لا تحظى باحترام حقيقي ، لا من المثقفين ولا من العمال ولا حتى من الفلاحين .

ونمضي مع الدكتور زكي نجيب في رحلته الفكرية :

يقول الدكتور ان أخطر ما مس حياتنا من الافكار والاحداث واعمقها اثرا هو القفزة الهائلة التي قفزتها العلوم الطبيعية في عصرنا دفعا للمستعمر ودفاعا عن الحرية ، وبيانا لقيمة الدين امام غزوات العلم الجبارة ، لوجدناه قد ملأ رقعة فسيحة من مجال نشاطنا الثقافي الحديث .

والتشابه ـ كما ترى ـ والكلام هنا للدكتور ـ شديد بين وقفتنا اليوم في مواجهة العصر ومؤثراته ، وبين وقفة اسلافنا في مواجهة مثلها ، ففي كلتا الحالتين كان الوافد « عقلا » لولا ان هذا العقل في الحالة السابقة تمثل في الفلسفة اليونانية ، وهو في الحالة الحاضرة متمثل في العلوم الطبيعية . لكن جوهر المواجهة واحد في الحالين: في الماضي حاول اسلافنا اما ان يدللوا على ان التوافق تام بين نتائج العقل واملاء الوحي ، واما ان يبينوا ان الثقافة العقلية الدخيلة ليست بذات نفع ، ان لم تكن ضارة بايمان المؤمنين .

وبنفس الطريقة التي تشعب بها موقف اقدامى من الوافد الجديد تقسم المعاصرون كما ذكرنا ، فمنهم من رفض العصر جملة مثل الداعين الى التمسك بالشريعة ، ومنهم من قبله بحذافيره ورفضوا التراث مثل فرح انطون وسلامة موسى وسعيد عقل وطائفة ثالثة هي التي صنعت لنا ثقافتنا العصرية لانها هي التي زودت نفسها بكلا الزادين : الثقافة العربية الاصيلة ، وثقافة عصرنا واخرجت منها مزيجا هو الذي نطلق عليه بحق « الثقافة العربية الحديثة » وفي مقدمة هؤلاء : طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وامين الريحاني وميخائيل نعيمة .

اما لماذا عبر هؤلاء بحق عن الثقافة العربية الاصيلة والحديثة ؟ فلانهم اخذوا العلم ورفضوا الاسس التي ينطوي عليها .

وهؤلاء الرجال وجدوا الشجاعة والمهارة معا ليعلنوا حكمهم بان « العلم وحده لا يكفي » وعند هذه النقطة يكمن اعمق جذر في مواجهة الثقافة العربية الحديثة للعصر .. واذن فهذه نظرتنا التي تريحنا، والتي تتمثل فيها اصالتنا الحقيقية ، وهي ان نضيف الى عالم الشهادة غيبا مستورا ، واذا كان عالم الشهادة بحاجة الى مشاهدة وتجربة لادراكه فالغيب ادراكه ينبني على ايمان .

والان بعد هذا النقل الذي حرصنا على ان يكون امينا لآراء الدكتور فان هناك امرا واحدا نتفق معه عليه . فلا جدال ان الدين والعقيدة والايمان بكل اركانه من الايمان بالوحي والالهام والعالم الاخر يحتل مكانا عميقا في قلوب شعوبنا ويشكل نظرتهم الى الحياة والقيم في اغلب الاحيان ، وهو المحرك الروحي الذي له خطره في حياة شعوبنا، هذا منذ القديم .. وهذا حق لا نخالفه فيه . ولكن النتائج التي يرتبها الدكتور زكي نجيب على هذه المقدمة الصحيحة واهية ومتهافتة تماما ، تسقط كل حقائق الماضي والحاضر ، وكل تاريخ حضارتنا الزاهر .

الدكتور زكي نجيب يرتب على هذه المقدمة وهي ان الدين والايمان ركن اساسي من اركان حياتنا الفعلية والفكرية والثقافية ، النتيجة التالية :

اذن فالعقل غريب وافد على حضارتنا .. مناقض لثقافتنا الاصيلة، وبالتبعية العلم بجذوره ومنطلقاته .

ولا ندري من اي واقع او تاريخ قفز الى هذه النتائج ؟ وبأي فهم اخذ العقيدة والدين كما تتمسك بهما شعوبنا ؟

اما الاسلام فهو دين العقل ، ونقول العقل وهو أبرز سماته .. ولا تأتي من عندنا بفهم جديد ، فقد كان هذا جوهر الثورة الاسلامية الكبرى التي هزت البشرية منذ ظهور الاسلام ، ولسنا بحاجة الى ان ندلل بآيات من القرآن الكريم ، فالدعوة الى النظر والنقل منذ البداية لا تحتاج الى دليل ..

وعندما انتصرت الثورة الاسلامية ، واكتسحت امامها العقائد والنظم الفاسدة في ذلك الزمان ، فقد انتصر العقل . والحضارة الاسلامية تفتحت لكل الثقافات والحضارات وانتهلت من الوثنى بمثل ما انتهلت من المؤمن ، لان الاسلام دين العقل ..

وعندما يستشهد الدكتور زكي نجيب بشواهد التاريخ ، فهي لا تسعفه وهو يخلط بينها خلطا ، لانه لا يملك المنهج التاريخي العلمي الضروري وبالاخص منهج المادية التاريخية الكفيل بالقاء اضواء جديدة وباهرة على التاريخ الاسلامي كله ..

فعندما يذكر جهود المعتزلة والفلاسفة للتدفيق بين العقل والنقل ويغمض عينيه بالاخص عن تراث ابن سينا وابن رشد وغيرهما من العمالقة الكبار الذين عبروا عن روح الحضارة الاسلامية الحقة العقلية والعلمية في الاساس ، ليصل الى الامام الغزالي وليرى في موقفه من رفض العقل ، ورفض الفلسفة اليونانية الدخيلة ، موقفا لكل العصور ومن جمهور الناس جيلا بعد جيل .. عندما يعالج الدكتور زكي نجيب التاريخ الفكري والثقافي والروحي للحضارة الاسلامية على هذا الوجه ، ولا يذكر لنا لماذا سادت فلسفة المعتزلة في صدر الاسلام وتبناها خلفاء بني العباس من ايام المأمون الى عهد المتوكل ، لماذا الفلسفة التي ترى ان الشريعة شريعة العقل ، وان الدين دين العقل، وان الانسان خالق افعاله ومدبرها بالعقل ، وانه حر يختار وهل كانت منافية لروح الاسلام حتى تسود في صدره ، وفي مرحلة صعود حضارته وازدهارها ؟ ولماذا سيطرت من بعد آراء الاشاعرة واهل السلف ؟ وفي اي العصور ؟ والى أين كان يتحرك المجتمع الاسلامي بمختلف طبقاته وفئاته ؟ ولمن اصبحت السيطرة مع انحدار هذه الحضارة وفكرها العقلي المتقدم وذبولها ؟ وكيف نبتت مناهج ابن سينا وفلسفته العلمية رغم كل ما داخلها ، وفي اي العصور ؟ وابن رشد ؟ ولماذا ظلت هذه الفلسفات مرشدا وهاديا للانسان حتى في عصر النهضة وظهور الفكر الاوروبي الحديث ؟ ومتى جاءت فلسفة الغزالي المعادية للعقل ؟ ولماذا جاءت في خريف الحضارة الاسلامية بعد القرن الخامس الهجري ؟ ولمن كانت السيادة في المجتمع الاسلامي في عهده ؟ واي صراعات كانت تتناهبه ؟

كل هذه اسئلة لا تخطر للدكتور على بال ، ولا يتسع المجال بالطبع للاجابة عليها ، ولكنه يقدم لنا التاريخ هكذا مجموعة من المجردات لينافض حتى المذهب الذي يؤمن به وهو الوضعية المنطقية ، وليمتهي الى تلك الصيغ التي تحكي ان تراثنا غريب عن العقل وعن العلم او ان العقل والعلم غريبان عليه مغتربان فيه ..

ولكن لماذا يتنكر الدكتور زكي نجيب لابسط مبادىء الحضارة الاسلامية وتراثها ؟ ولماذا يسقط كل هذا التراث الذي لم يستطع ان يتغافل عنه أحد حتى المستعمرون ؟

لانه يريد أن يدفع بالحجة البالية وهي ان الحضارة الاسلامية روحية في مقابل المادية .. مادية العصر !! ولانه يتخيل انه يستطيع ان يواجه الماركسية بهذه الحجة ، وعندئذ يضطر لان يجرد الروح الاسلامية من مضمونها ، مضمون العقل والعلم ..

وهو يسجل بحق صراع الفلسفات في كل العصور ، الصراع بين المادية والمثالية ولكنه يغلبه بالحجة البالية التي دحرها الماركسيون منذ زمان ، الى صراع بين « الروحية » و« المادية » أو بين «الروحانيين» و « الماديين » . ويعرف ابسط دارس للفلسفة ان الصراع بين«المادية» و « المثالية » شيء والصراع بين الماديات والروحانيات شيء اخر .. وحتى لا نستطرد نقول ان هوشي منه كان ماديا من اخمص قدميه حتى قمة رأسه ، ومات وهو ينتعل في قدمه حذاء من اطارات السيارات .. بينما كانت روحه وروحانيته تحرك اعظم الثورات .. ومات جيفارا تحركه روح عظيمة ابعدته عن كراسي الوزارة الى مجاهل الغابات ... كان جيفارا ماديا ولكن لا يستطيع حتى العدو ان ينكر عليهمثلهالروحية السامية .. فقد كانت روحه ولا تزال تحرك شرفاء الناس من اجل الحياة والحق والخير ..

اما الحجة البالية التي تضع الروحانيات في مواجهة المادية والدين في مواجهة الماركسية .. فقد فضحتها شعوبنا منذ زمان ولم تعد تنصت لها .

وبعد هذا كله فان الدكتور زكي نجيب يقول لنا اخلاصا لمنهجه الوضعي « لست ادافع ولا اهاجم ولكنني اصنف » .

وبعد سطور يتخلى عن موقف عدم الانحياز هذا ليفصح عنغرضه السياسي الحقيقي وراء هذه الجولة الطويلة من الروحانيات فيتصدى « للشمولية » هكذا !! في السياسة وفي الصناعة بموقف على حد تعبيره « يصون للافراد حرياتهم حتى لا تنجرف في التيار »

ان خط العداء للماركسية ، ولروح العصر كله ، عصر الاشتراكية هو الذي يحكم تفكيره .. ويدفع به الى تلك المزالق .. ويفسر سعيه الدائب لاستبدالها مرة بالوجودية واخرى بالوضعية وثالثةبالروحانيات!

اما زميله الثاني الاستاذ محمد المزالي في بحثه « الاصالة والتفتح » الذي قدمه للمؤتمر فهو لا يملك كل هذه العدة الفكرية للمناورة والقدرة على قلب الافكار وانما هو يمضي الى هدفه في وضوح وصراحة ، فالقضية التي تشغله في هذه المرحلة من امر الثقافة هي قضية الشيوعية والماركسية ، فهو يعبر عن قلقه العميق ازاء الغزو الفكري ودعاوى « التقدمية والاشتراكية والثورية » ويرى فيها الخطر الاكبر على الوطن العربي ولا يتورع عن التسوية بينالعدو والصديق في اعتى معركة نخوضها « لقد اخطأت الدول الاستعمارية في حسابها ، وكذلك بعض الدول الكبرى التي تدعي اعانتنا علىالتخلص من الاستعمار وتحاول اشاعة الغذاء الايديولوجي بين شبابنا ومثقفينا للتحرر الاجتماعي والاقتصادي ـ اخطأت جميعها عندما حاولت كسب الشعوب الافريقية والاسيوية » .

ويردد الحجة الساذجة التي تدعي ان الماركسية تناقض الوطنية والقومية وينسى ان الماركسيين يقودون اعظم حركات التحرر الوطني .. وبعزلهم كقوة اصيلة فيها بين كل القوى التقدمية وعلى رأسها، تتعرض حركات التحرير الوطني لهزائم مخزية .

ويمضي هكذا في كل بحثه لا يشغل باله سوى قضية الماركسية والاشتراكية .. فهذا هو العدو في نظره في الثقافة وفي غيرالثقافة ولا شيء غيره ..

وبعد فان هذا النقاش الذي قد يبدو عنيفا يستدعي الى اذهاننا ذلك الحوار الوذي والخصب الذي دار ويدور بين الدكتور نويهي والاستاذ عيتاني والاستاذ ابراهيم فتحي وغيرهم على صفحات« الآداب» ذلك الحوار الذي يدور بين المثقف المسلم والمؤمن والمتنور وبين ماركسيين ماديين ، وهو حوار خصب خلاق يؤكد الحاجة التي سيشعرها كل الشرفاء اليوم .. ضرورة الجبهة الثقافية ـ ولا اقول الايديولوجية بالطبع ـ بين كل الوطنيين الثوريين والمستنيرين في مواجهة فلسفات الغيبية والاظلام .

ان المعركة المصيرية .. معركة الحياة في مواجهة الموت لشعوبنا .. الشرف، مجرد الشرف ، في مواجهة الخزي ، تدعو كل المثقفين الشرفاء الى أوسع جبهة ثقافية ضد المستعمر وفلسفاته وثقافاته المعمية . ولا شك ان في البحوث التي قدمت الى المؤتمر من الدكاترة شكري عياد وأحمد هيكل وعلي الراعي وغيرهم ما يؤكد امكانية هذه الجبهة بل وضرورتها بين كافة فضائل الفكر المتقدم والمستنير وقواه .

القاهرة — أديب ديمتري

القصائد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٦ ـ

الصوت المتميز الفريد .

لقيته اول مرة في مهرجان المربد في البصرة قادما من الجزائر مدعوا الى وطنه ، فحرمه انفعاله وحرمنا من ان يتمالك نفسه ليلقي قصيدته . ولقد سعدت كثيرا بنبأ عودته الى الاستقرار في العراق .

* * *

أعادتني قصيدته في « الآداب » الى النظر في ديوانه الرائع « قصائد مرئية » مستعينا بالديوان على النظر في القصيدة بعد ان كدت أيأس من العثور على محورها المستور تحت التفعيلات الكثيرة التي ينجح سعدي في ان يخلصها من قيودها النثرية ويرتفع بها الى آفاق الشعر فاستطعت بعد لأي .

وبعض القصائد تبدو من بعيد كالعمارة الصينية القديمة ركاما من التفعيلات بعضها فوق بعض ، وتظل خالية من المعنى حتى تستطيع ان تكتشف فيها مدخلا صغيرا يمنحك السيطرة عليها واكتشافهندستها البديعة وأسرارها الخفية . وهكذا رأيت قصيدة سعدي .

انه يحاور ذاته ، ها هو يجلس حيث اختار بعيدا عن القبح والظلمة والسطحية والكذب ، فماذا بقي له بعد كل هذا التجوال والتغرب ؟ ماذا قدم لنفسه وماذا قدم له العالم ؟ لا شيء الا ما ظل يهرب منه ، وهو باق على حاله والعالم يمضي حوله قبيحا ظالما سطحيا كذابا ، وجمعية بناء المساكن لرواد الفضاء في كل من هيوستن وطشقند تعلن عن قرب توزيع اراض مفروزة ويفضل المتزوجون !

ان العالم يعيش حياته على طريقته ويجب أن تستمر الحياة على هذا النحو ، ويظل الشاعر المنفي ، او المغربي ، او السائح المحترف ، او القروي الذي يجهل الاوبرا والقوانين يجلس وحده ملتفا بطهره وسموه الموحشين . انه سجين نفسه وسجين العالم الذي يرفضه :

لما البحار التي تستحمون فيها وراء جلود الوجوه الحليقه
ولماذا تنامون خلف العوينات ؟
خلف المناضد ؟ خلف النساء ؟
مرة في غصون الشتاء
في القطار الذي مر بين شيراز والادرياتيك
أبصرت عبد الملك
كان يكشط في سطح سرسنك وجهي
كان يكشط في سطح سرسنك اوجهكم ايها
السادة المنصتون ، الحليقون ، يا من تريدون
ان ينتهي اللعب الفج بالكلمات ، لتمضوا

ان الشاعر يعبر هنا عن عذابه وضجره ويأسه احيانا وحنينه الى براءته الاولى ، واصراره مع ذلك على البقاء حيث يجلس . وهو

لا يعلم حقا ان كان المغربي السائح المحترف القروي الذي يجهل الاوبرا والقوانين على حق ، ام ان الحق مع هذا العالم رجاله ونسائه ورواد فضائه ونقاده ومكاتبه . لقد ذهب زمن اليقين الاول الساذج واخذت الاسئلة تترى في غير هدوء . اسئلة تتوالى وتطلب الاجابات .

والشاعر ينجح في تصوير هذا الجحيم الذي يعيش فيه المثقف المعاصر عن طريق هذه الصور التفعيلية الكثيرة التي يجمعها من هنا وهناك ، من طـــرفات كراكوف القديمة وفاس ودمشق وشيـــراز والادرياتيك وسرسنك . من الماضي والحاضر ومن العالم باسره . وكل هذا الركام من الصور مسلط على المغربي السائح المحترف القروي الذي يجهل الاوبرا والقوانين .

ـ أنت هنا تجلس ؟

ـ حسنا ..

وهو لا يدخر وسيلة الا واستخدمها في التعبير ، فهو يلجأ الى الوصف والسرد والحوار والجمل النثرية والحروف اللاتينية . وقلما تعثر في القصيدة على القوافي ، لكن توتر الصور وتدافعها وطزاجة اللغة ترتفع بهذا كله الى مجال موسيقي مشحون .

والقصيدة بعد هذا من بحر المتدارك وفيها بيت مكسور هو :

حسنا ، ما الذي ابقت المطارات من وجهك ، قل

ولا ادري هل كان هذا بسبب خطأ مطبعي أم بسبب السهـــو ، ام انه كسر مقصود ؟!

أربع قصائد للحب والقضية ـ زكي الجابر

وهذا هو الشاعر العراقي الثاني في هذا العدد الـذي يضـــم خمسة شعراء عراقيين بين شعرائه السبعة .

والحقيقة انني لم أقرأ للاستاذ زكي الجابر من قبل ، لهـــذا لا اعرف مكانه بين شعراء العراق . اما هذه القصيدة فهي تذكرني بشعر الخمسينات حيث كان عـــالم الشعر محدودا لا ترى فيه الا شخصه وموضوعه المباشر . ونحن في هذه القصيدة أو في هـــذه القصائد الاربع القصيرة نرى الشاعر ومحبوبته ، وندرك ان للشاعر قضية صعبة يجد في محبوبته عونا له على مواصلة النضال من اجلها . بل اكاد احس من لهجة القصيدة الصادقة ان الشاعر يعبر عن تجربة شخصيـــة .

ولا شك في اننا نجد في بعض المقاطع ابياتا حارة وصورا وموسيقى عذبة وخاصة في المقطع الاخير المسمى « لم ننته بعد » والمنظوم على الطريقة التقليدية من البحر السريع :

يا حلوة العينين يا سكرة
تعبر بي الآفاق مذهولا
هذا مدى الحب على رحبه
نغشاه مجهولا فمجهولا
اشواقنا فيه وذوب المنى
كل الذي قد كان مفلولا !
. . . . . .
لم ننته بعد فهذا الهوى
ما زال عند القبلة الاولى

* * *

لكن القصيدة في مجموعها تقدم كما قلت عالما محدودا مباشرا . وربما كان مرد ذلك فكرة الشاعر عن معنى الصدق في الشعر . انظم المشاعر التي يحسها الانسان ازاء موضوع ما لا يصنع قصيدة ، وانما يصنعها اكتشاف الشاعر لعالمها الخاص المستقل عن موضوعها الاصلي .

ولا يفوتني ان اشير الى بعض الاخطاء العروضية ومنها في البيت الثاني من القصيدة :

رأيتهم فوق وجوههم علامة الطاعون

ان التفعيلة الاخيرة في هذا البيت المنظوم في بحر الرجـــز هي (مفاعيلن) ولو ان الشاعر كررها في نهاية بيت اخر او ابيات لانتظم الايقـــاع .

وهناك بيتان مكسوران هما :

بمقلتيك يا رائعتي الجميله

و

وثارها التي تجهلها النيران

ان التفعيلة الثانية في كل منهما تنتسب الى بحر الهزج لا الـى الرجز ، وقد نبهت في بعض كتاباتي الى هذا الخطأ الذي يقع فيـــه كثير من الشعراء للسبب التالي : انهم يزنون التفعيلة الاولى من بحر الرجز وهي (مستفعلن) ثم يعود الوتد الموجود في نهايتها وهـــو (علن) الى الوتد الموجود في اول تفعيلة الهزج وهو (مفا) من (مفاعيلـــن) فتصبح نتيجة الجمع (علن مفا) المساوية لتفعيلة الرجز.(متفعلن » .

ولناخذ احد البيتين السابقين كمثال لنرى كيف يقع الشاعر في هـــذا الخطأ :

بمقلتيك يا رائعتي الجميله

لقد وزن الشاعر البيت فقال (بمقلتيـ ؛ متفعلن . ثم عـــاد فقـــال (لتيك يا) متفعلن . (رائعتي الـ) مستفعلن . (جميله) فعولـــن . وهكذا استقام البيت في ظن الشاعر بينما هو مكسور .

اما الخطأ الاخير فهـــــو في البيت الاخير من المقطع الـــذي استحسنـــاه وهو :

لم ننته بعد فهذا الهوى
ما زال عند القبلة الاولى

الفريسة ـ عبد الامير معلة

ما أعجب هذا الشاعر ! انقدراته الفنية واضحة وضوحا ملموسا، لكنها مكبلة بما فرضه على نفسه من الوقوع تحت تأثير ادونيس .

والشاعر يعبر في قصيدته القصيرة المزدحمة التي كتبها فـــي ثلاثة بحور هي المتدارك والرجز والرمل عن هم عربي بالدرجة الاولى ، فهو يصور خيبة امله في الثورة ، ورغم ان موضوعه ليس بعيدا عـــن موضوع سميح القاسم وسعدي يوسف الا انه مختلف عنهما بما فـــي قصيدته من نكهة محلية . وربما كانت القصيدة هدى للمجزرة التـــي تعرض لها الفدائيون الفلسطينيون ، ويمكن ان يرى الشاعر نفســـه فريسة لوهم الثورة كما كان الفدائيون فرائس لهذا الوهم .

وهو في المقطع الاول يعبر عن ايمان لا يتصوره شك وعن اتصـــال كامل قائم بينه وبين وطنه الذي كان الشاعر يراه صورة لاحلامه حتـــى لقد صار جسده شيئا يقع فيه الماء ويجره الضوء .

وهو في المقطع الاخر يبشر بمقدم النبي والمؤمنين الذين سيحملون الصحراء على ظهور خيلهم ، غير ان الانصار يحجمون عن عبور البحـــر فتقوم الفجوة بين الانسان والارض وتمتلىء النفوس بالهزيمة ويتدنس تراب الوطن . وبدلا من ان يقوم عصر النبوة من جديد يمشي الخوارج في الناس الذين اصبح الخوف يملأ قلوبهم بدلا من غبطة اليقين .

ان الشاعر كما نرى قادر على ايصال فكرته ، وهو ايضا ممتلـك لادواته فلغته راقية وبديهته الشعرية حاضرة ، لكن غرامه بفن ادونيس يوقعه في شباك ادواته فيستطرد ويكثر من الاشارات التي تخرج عـن مدار القصيدة . انه يصور ثائرا مؤمنا فما دخل حي بـــن يقظان فـــي ذلك ؟ اتراه يريد ان يضيف الى الثائر المؤمن صفة الباحث عن الحقيقة؟ لكن القصيدة لا تحتمل هذا . انها تصور مأساة الخيبة بعد اليقيـــن من النجاح . ولكن متابعة الشاعر لادونيس في اشارته الاسلامية ربمـــا

كانت هي المسؤولة عن اقحام حي بن يقظان في القصيدة .

ان موهبة عبد الامير معلة تستحق منه ان يبذل جهدا في التخلص من ادونيس قبل ان يضع الوقت ، ويكف ادونيس نفسه عن ان يصبح « مودة » .

دون كيخوتة ديلارابيا ـ يسري خميس

وهذه هي قصيدة الشاعر المصري الذي يمثل مع سميح القاسم الافلية غير العراقية بين شعراء العدد .

ويسري خميس ذو الثقافة الالمانية يحاول ان يقدم في شعره فنا جديدا على الشعر العربي المعاصر حين يقدم صور المدينة الحديثة ومفرداتها بغير ترفع كما يفعل معظم الشعراء العرب مستجيبين في ذلك لمزاج ريفي رومانسي ، ولكنه يقدم هذه الصور والمفردات بحس درامي لا يخلو من عنصر السخرية ، وربما كان في ذلك متأثرا بشعر بريخت ، لكننا نلاحظ في المقابل ان لهجة شعره تشوبها عجمة واضحة . ان بعض تراكيبه تبدو ركيكة .. مثل (في مقاهي المدينة حيث الجميع . يشربون بنفس الطريقة نفس الطبق) وكذلك بعض صوره (عن انشغال الماعز الاسود في الوديان واستغراقها) الى جانب بعض الخلل في اوزانه . وان كانت هذه الملاحظة افل ما تبدو في هذه القصيدة التي استطاع الشاعر ان يتخلص منها الى حد كبير من عالم اللغة الاجنبية .

والقصيدة قسمان ، الاول نظمه الشاعر في بحر المتدارك ، وفيه يقدم العالم الداخلي « لدون كيخوتة العربي » المتغرب في بلاد الشمال ، وهو قسم غنائي مليء بالايقاعات والصور غير المباشرة . ثم يقدم في القسم الاخر عالمه الخارجي حين يفيض به الحنين وتستبد به الرغبة في انقاذ العالم . وقد نظم هذا القسم في بحر الرجز حتى يتسع لاستطراداته النثرية وفي هذا القسم وقع الشاعر في بعض الاخطاء العروضية كما في قوله :

عن طيبة الوجوه الخشنة
و :
من انهر ، حزنها اثقل من مائها

وهو ذات الخطأ الذي وقع فيه الشاعر زكي الجابر

ودون كيخوتة في هذه القصيدة فارس عربي جوال يختلف عن زميله اللامانشي في انه مجرب ترهقه الاسئلة وتفزعه الاجابات وتغريه بالكف عن التجوال ونفض يديه من هذا العالم . لكن الحب يراه من جديد الى الايمان ويعيد اليه سيفه المفقود .

والفكرة تشبه كثيرا فكرة قصيدة الاستاذ الجابر ، لكن القصيدة هنا اغنى وهي بالنسبة لشعر الشاعر خطوة متقدمة .

قراءات جديدة ـ فوزي كريم

من اجمل فصائد العدد قصيدة فوزي كريم . انها بلورة تعب الشاعر في صقلها وتحديد زواياها ، فهي تشع شعرا اكبر مما قد ينتظر من قصيدة قصيرة في بضعة وعشرين بيتا .

وفوزي كريم مع زملائه سامي مهدي ، وخالد علي مصطفى، وحميد سعيد هم المع شعراء الجيل الجديد في العراق ، هذا الجيل الطموح الذي يريد ان ينهض بعبء حركة تجديد اخرى في الشعر العربي المعاصر .

وفوزي كريم يبدو شاعرا مقلا ، فقد اخرج ديوانا واحدا هو « حيث تبدأ الاشياء » وفيه اثار واضحة من ادونيس الذي ترك بصمات واضحة في شعر هذا الجيل الجديد من الشعراء العراقيين ، لكن هؤلاء الشعراء الاربعة سرعان ما استطاعوا التخلص من هذا التأثير بفضل مواهبهم وطموحهم وثقافتهم الشعرية .

والفرق كبير بين هذه القصيدة الاخيرة لفوزي كريم وبين ديوانه.

انه لم يعد يتعب نفسه في تسقط الصور الغريبة وزخرفة الايقاعات ، بل هو ينفذ في لحم الكلمات متجها مباشرة الى جوهر الصورة والفكرة زاهدا في الايقاع والاستطرادات .

والقصيدة تعالج ذات الفكرة التي تعالجها قصيدة عبد الامير معلة، وهي خيبة الامل في الزمان الجديد ، لكن الفكرة هنا تبدو اصلب واكثر حيوية بفضل بساطة الشاعر وعمقه وزهده في التفاصيل .

والقصيدة قسمان . الاول بعنوان « قراءة للزمن النبي » وهو منظوم في بحر المتدارك ، وفيه يصور الشاعر انتظاره للزمان النبي او الثورة ، هذا الانتظار الذي انتهى بالخيبة . فالذي جاء لم يكن نبيا طاهرا ، بل وجها شاحبا جانعا .

اما القسم الآخر الذي نظمه الشاعر في بحر الرجز فيصور فيه الشاعر حاله الآن او حال امته التي تسافر الى مدينتها المفقودة في مركبة محطمة . ان الشاعر هنا يبحث عن زمن ثالث غير الزمن الاول المرفوض والزمن الثاني المخيب للامال . فاين هو هذا الزمن الثالث؟ انه زمن مفقود ولكنه سيأتي حتما ، سيأتي ولو لم نره .

وربما كانت هذه النهاية السعيدة ساذجة في هذه الصورة المنثورة التي اقدمها بها . لكنها في القصيدة نهاية مركبة مفجعة :

وها انا :
أقيم بين الزمن الثالث والمركبة المحطمة
تظلني سارية الحداد
بفيئها الساقط من نواحها المكتوم
ارقب حتفي ، في عيون الفرس المهزوم
مكفنا برأيه الآتي .. من الرماد

وجه من الوطن الاخر ـ مي مظفر

هذه هي القصيدة الاخيرة في العدد . وهي للشاعرة العراقية الجديدة التي تريد ان ترث مجد نازك .

ومن الواضح ان الشاعرة ترثي أباها في هذه القصيدة ، فهي تصوره فادما اليها من وطنه الآخر بعيدا او قريبا وهي تريد ان تلقاه لتدفن رأسها في حضنه :

فالحلم تخطاني وتجاوزني
وعرفت بأني مثلك في الظلمة يشقيني لون الجدران الخابي
وعلى جسدي نقنات الايام : انتفخت
هرمت .. امتلات قيحا .. غارت ثم ارتدت
وأنا ما زلت أراوح بين الظلمة والظلمة
اي الاقواس تخاصرني

ابيات جميلة تشير الى موهبة في طريق النضج . لكن القصيدةفي غير هذه الابيات مليئة بالكلمات الموزونة التي لا تعني شيئا وان حملها تيار المتدارك المتدفق مثل !

وتدنى من وجهي يرعى غسقا محفورا فوق الحد الاعلى من فزعي
ابصره .. ابحر في ظمأ البئرين .. أراه يحدق
في ثمرات الصمت النائم عريانا في زبد الشوق

انه الفنان الجديد يلعب بما اكتشفه ويجس تفاصيله ليبقى منها بعد ذلك ماله قيمة ويرمي بالباقي وراء ظهره . ونحن في انتظار هذه المرحلة .

القاهرة — **احمد عبد المعطي حجازي**